

1

قبل شهرين

في أواخر شهر مارس وأوائل أبريل من عام 30 بعد الميلاد، وفي قيصرية ظهر عدد غفير من السفن وأخذ يرسو على شواطئ قيصرية والمدن الساحلية الأخرى في اليهودية. كانت السفن تعج بالمسافرين الذين بعد نزولهم على الشواطئ شقوا طريقهم لنحو ثلاثين ميلاً على اليابسة إلى مدينة أورشليم القديمة. وهكذا اكتظت كل الطرق المؤدية إلى تلك المدينة بالمسافرين القادمين ليس من الموانئ وحسب بل وأيضاً جنوباً من إفريقيا وشرقاً من سوريا وشمالاً من آسيا الصغرى ومن أوروبا حيث تزحف الجموع نحو عاصمة اليهودية القديمة.

في البداية أتى الناس فرادى ثم في جماعات وأخيراً تدفقوا كطوفان جارف نحو المدينة المقدسة من جميع البقاع حتى امتلأت غرف الفنادق ثم جميع المنازل. وأخيراً أصبحت مناطق العمران مملوءة عن آخرها واستمر سيل المسافرين يتدفق حتى زاد الزحام وأوشك أن يتسبب في فوضى. بدأ الوافدون المتأخرون في إقامة معسكرات في الشوارع التي أصبحت أخيراً مختنقة بالسياح الدينيين.

أتى هؤلاء من كل أنحاء العالم المعروف يتزاحمون ويتكدسون في مدينة مساحتها ميل مربع واحد. كل عام في نفس الميعاد كانت مدينة أورشليم تستضيف اليهود من كل أقطار الأرض الذين يأتون للاحتفال بسلسلة من الاحتفالات المقدسة القديمة. لقد كانت المدينة أشبه ما يكون بمعرض عالمي، أو مزار ديني مهم، أو قبلة سياحية دولية، أو إعادة التنام شمل العائلات. كانت الاحتفالات تستمر على مدى ما يقرب من ستين يوماً تبدأ مع زراعة المحصول. ثم يأتي عيد الفصح ثم عيد باكورة الثمار، وأخيراً وبعدها بسبعة أسابيع يأتي عيد الأسابيع أو عيد الحصاد.

كان اليهود يحتفلون بذلك الموسم سنوياً لأكثر من ألف عام. في الحقيقة فإن العام 30 بعد الميلاد سيكون الاحتفال الخمسمائة بعد الألف بهذه المناسبة.

لقد كان اليهود الأصليون السياح لديهم فهم واضح للفصح السنوي لأنه تذكرة سنوية لوعدهم جداً بالنسبة لهم. أما عيد الثمار فهو العيد التالي وقد كان أكثر غموضاً في مغزاه الروحي عن الفصح وكان معظم اليهود يعلمون أنه عليهم أن يحتفلوا به فقط عند موسم زراعة الحبوب.

وكان لعيد الثمار مدلول معين عند اليهود فقد كانوا يحتفلون به عند زراعة المحصول. فإن أعطى الله موسم زراعة جيداً وموسم حصاد وفير فإن هذا يعني سنة جيدة لإسرائيل أما المحصول القليل فإنه يعني كارثة أو مجاعة.

تمثل هذا الاحتفال في طقس يمارس بعد ثلاثة أيام من الفصح لكن الواضح أن عيد الثمار له روحانية عميقة وغالباً كان ذلك العمق خفياً وقوياً أكثر مما هو معروف.

وبمجرد انتهاء الاحتفال غادر بعض السياح أورشليم ولكن كثيرين ظلوا موجودين فهم يحفظون السبعة أسابيع التالية. لقد كان عيد الحصاد أيضاً عيداً مجهولاً من حيث المغزى الروحي أكثر من عيد الفصح أو عيد الثمار. ولم يبدو أنه يوجد من يفهم تماماً ما هي دلالات عيد الحصاد التي ترمز إليه (ومعظم المعاصرين أيضاً لا يعلمون).

أثناء هذا العام نفسه وقع حدث آخر هام لم يكن في الحسبان إذ كان تجري في المدينة محاكمة يتحدث عنها الجميع. كانت الشائعات من كل صنف قد سرت بأن ناصرياً حكم عليه بالإعدام، وتُفد الحكم على نحو مفاجئ. سارت إجراءات التنفيذ في المحكمة على نحو أسرع من المعتاد لكيلا تتعارض مع ممارسة الجزء الرئيسي لفريضة الفصح.

أثناء محاكمة الناصري واستجوابه استغرق الكهنة الوقت في فحص خروف وتجهيزه للفصح والتأكد أنه بلا عيب. وقاموا بتجهيزه للفصح بعد أن تأكدوا أنه بلا عيب وهكذا كان الحدثان صلب الرجل وذبح الخروف للفصح. حدثان متلازمان يسيران جنباً إلى جنب و كما قادوا الرجل إلى النل حيث مكان تنفيذ الحكم ساقوا الحمل إلى الهيكل ليجهزوه للذبح ولأن اليوم التالي هو السبت فقد قدسوه - حسب الوصية - فاستراحوا وجاء يوم الأحد يوم عيد الثمار.

وعند الفجر قبل بزوغ الشمس اتجه أحد كهنة الهيكل نحو حقل متاخم لأورشليم وأخذ يتقحص التربة باحثاً عن نموات جديدة (باكورة ثمار) قد اخترقت التربة.

لا يزال الظلام باقياً فالشمس لم تشرق بعد لكن شخصاً آخر يتسلل في نفس الوقت !! . أنها امرأة تدعي مريم المجدلية واحدة ممن يتبعون يسوع كانت ذاهبة في ذلك الوقت نحو القبر حيث وضعوه.

سبقت خيوط رقيقة من أضواء الفجر الكاهن إلى الحقل فقد وصل عند شق الفجر تماماً و ما أن توقف علي طرف الحقل حتى رأى عند قدميه نمواً صغيراً اخترق التربة إنها باكورة محصول هذا العام.

انحني ليصل إليها وفضت يدها ثناياتها الدقيقة الرقيقة وجذبها برفق خارج التربة و لكن فجأة و في تلك اللحظة بالذات شعر بالأرض تهتز تحت قدميه يبدو أن هناك زلزالاً عنيفاً في مكان ما قريباً منه ليس هذا فحسب فلقد ظهرت الشمس في نف

أنه الأحد 29 مايو عام 30 بعد الميلاد الساعة الخامسة صباحاً تقريباً لم تشرق الشمس بعد. مازال الظلام لا يزال باقياً علي أورشلينم تفتح أبواب الهيكل قليلاً ليخرج منها كاهن وحيد يشق طريقه نازلاً الدرج عبر شوارع أورشلينم. كانت الشوارع - علي قدر ما استطاع أن يري - في ضوء الفجر مكتظة بالحجاج النائمين علي الممرات الحجرية . لقد شق طريقه خلال إغفاء النائمين و غطيظهم في الطرقات إلى بوابة المدينة خارجاً حيث الريف لقد كان في طريقه قريب نفس الحقل الذي زاره منذ تسعة و أربعين يوماً مضت ليكتشف باكورة الإنبات بالشمال.

لم يكن الكاهن هو الوحيد الذي خرج مبكراً بل فرقة أخرى كانت هناك أيضاً. كان يمكنك أن تري قلة من تلاميذ الرب يشقون طريقه وسط جموع النائمين عبر ممرات المدينة الضيقة صاعدين طابقيين في أحد المباني.

إننا نعلم ما يفعله الكان في هذا الصباح بالذات و لكننا لا نعلم لماذا هناك مائة من تلاميذ يسوع في هذا الوقت مبكرين جداً و للإجابة عن تلك الأسئلة لابد أن نعود بالذاكرة للفصح وأحداث التسعة و أربعين يوماً الماضية. منذ أسابيع قليلة ماضية على مدى الذاكرة صلب المسيح خلال الفصح وقد كان جميع من يجتمعون في العلية شهود عيان لتنفيذ الحكم فيه ومر اليومان التاليان لتنفيذ الحكم عليهم أكثر إظلاماً وأكثر يومين حزناً في حياة هؤلاء الرجال و السيدات. لقد كانت التجربة التي عاشوها تجربة قاسية تفوق احتمال البشر ولكن منذ تسعة و أربعين يوماً تحول كل هذا الحزن غير المحتمل إلى فرح لا ينطق به. لماذا؟ لأن مريم المجدلية عادت من زيارة قبر يسوع معلنة أنه فارغ - والأكثر من ذلك أنه أصرت علي أنها رأت الرب حياً!!

و في خلال الخمسة أسابيع التالية ظهر الرب من وقت لآخر لجميع هؤلاء الناس و في أحد الأيام الأربعين بعد قيامته تحدث حديثاً قصيراً مع مجموعة صغيرة علي قمة هضبة بالقرب من أورشلينم تدعى جبل الزيتون. و في ذلك الوقت علم تلاميذه كلمات تعليم قليلة لقد خص تقريباً اثني عشر منهم بكلامه إذ نظر إليهم نظر في عيونهم مباشرة ثم قال "ستنالون قوة" ثم طلب من هؤلاء جميعاً - من كانوا معه - أن يذهبوا إلى أورشلينم وينتظروا مجيء الروح القدس. وعندما انتهى من توجيه هذه التعليمات المختصرة إليهم بدأ يرتفع ثم اختفى في السماء.

وقف التلاميذ هناك للحظة مذهولين فلا أحد منهم يعلم ماذا يكون هذا الروح القدس ولا متى سيأتي. ولكن بذلك القدر القليل من التعليمات قرروا الذهاب إلى أورشلينم واستنجر غرفة كبيرة حيث يستطيعون الاجتماع معاً وكما قال الرب - ينتظرون - حيث لم يعلموا شيئاً آخر يجب عليهم عمله لذا فقد قرروا أن يصرفوا وقتهم في الصلاة و الصوم كأفضل ما يصرفون فيه وقتهم. لم يزل الظلام باقياً و لكن أحدهم بدأ يتلوا في صوت هادئ مزموراً ثم انضم إليه آخرون. لقد كانت تلك الصلاة هي الأقوى في كل تاريخ الكنيسة لقد وصل كاهن الهيكل إلى حقل الحبوب المتاحم للمدينة وكانت أشعة الشمس تتسلل لتنتشر على الأرض أمامه. و بعد عيد باكورة الثمار بسبعة أسابيع ذهب هذا الكاهن نفسه ليتفحص هذا الحق و على غير المعتاد فبعد سبعة أسابيع عندما نمت الباكورات الصغيرة كان الحقل قد امتلأ الآن و أصبح حقلاً غنياً بالحبوب الناضجة الجاهزة للحصاد.

نمت البذور التي زرعت في موسم الفصح كمحصول وفيه جاهز للحصاد. تقدم الكاهن نحو الحقل و بدأ يقطع بعض تلك العيدان فجمع بعناية حزمتين واستدار عائداً نحو أورشلينم.

انقضى الليل و أتى النهار و هكذا بدأت أورشليم تستيقظ تحت أشعة الشمس الأولى و عاد الكاهن إلى الهيكل. وكانت الخطوة التالية من طقوس عيد الحصاد على وشك أن تبدأ.

تقدم الكاهن نحو المنضدة ثم بدأ يفصل البذور من العيدان التي جمعها ثم أخذ حجراً محدباً ناعماً أداره على الحبوب للخلف و للأمام. ظل يضغط على الحبوب حتى كسرها و استمر في عملية الطحن حتى أصبحت حفنة من دقيق مطحون. أخذ الكاهن حفنة الدقيق المطحون بعناية ثم سكب عليها قليلاً من الماء محولاً إياها إلى عجينة. وأخذ ذلك العجين و قطعه إلى أرغفة خبز ووضعها في عمق الفرن ثم رجع إلى الخلف و انتظر. كان الفرن شديد الحرارة و سرعان ما تحول العجين إلى خبز و سيقوم الكاهن بالوصول إلى عمق الحرارة في هذه المرة ليأخذ الخبز الناضج خارج الفرن. وما هي إلا ثوان حتى كان الكاهن يفتح باب الفرن و يرفع الخبز ثم يأخذه إلى المذبح و يرفعه أمام الرب، تلك هي التقدمة التي لا بد و أن تكون في تمام توقيت عيد الحصاد و لا بد أن تكون في ذات اللحظة في يده.

إنها الساعة الثامنة صباحاً لقد أصبحت الصلوات في العلية قوية جداً و حقيقية و جريئة جداً و لقد أصبح حضور الرب ملموساً جداً فجأة أتى صوتاً عالياً بدا كأنه صوت قادم من السماء. لقد كان صوت صرير قوي لا يحتمل كان يقترب و يقترب إلى أن أصبح لصيقاً. لقد ارتجت الغرفة تحت هبوب تلك الرياح. كان ما يحدث شيئاً لا يصدق عقل ترى ما هذا؟ هل هذا هو ما تكلم عنه يسوع؟ ترى هل هو الروح القدس الذي وعد به يسوع؟ و عد أن يعطيها الملكوت الذي تكلم عنه فقط شيء واحد كان مؤكداً ذلك أن شيئاً سماوياً كان على وشك أن يشعل الأرض. ثم حدث فيما بينهم أن دخل صوت الرياح من السماء إلى تلك الغرفة على الأرض ، ذلك الإحساس الرائع بالحقيقة و الالتصاق و حضور المسيح ذلك الشعور الذي لم يختبروه إلا عندما كانوا يجلسون في حضرته عندما كان هنا على الأرض ذلك الحضور المبارك نفسه يملأ الغرفة الآن بل و أكثر من ذلك أن شعوراً قويا بوجود سلطانه الإلهي.

و فجأة أدرك الجميع .

لقد أتى الروح القدس (النسمة الإلهية) كان هناك و استقر فوق كل واحد في الغرفة و امتلأت الغرفة كل الغرفة تماماً، تشبعت، و فاض الروح القدس. لقد لف حضوره كل واحد و غطى الجميع. لم يكن هناك شيئاً مثله على الإطلاق ، صرخ أحدهم و انطلقت صرخة فرح يفوق الخيال ، ثم آخر ، ثم ثالث كانت هناك كلمات تسبيح و تمجيد لله الذي فعل كل ذلك في وسطهم ولكن لا توجد على الإطلاق كلمات يستطيع الإنسان أن يصف مثل هذه اللحظة. و لا حاول أحد قط.

فلا بد أن التسبيح في مثل هذا الوقت لا يخطر بالبال، لقد امتزج فرح جميع المؤمنين ليصبح تسبيحاً عظيماً مرتفعاً متزايداً.

أخرج الكاهن الخبز من الفرن و أخذه أمام المذبح و رفعه عالياً أمام الرب لقد أتت ساعة تتم عيد الحصاد و هكذا تم إكمال الخبز.

كانت تلك الحياة الإلهية كبذرة إلهية قد نبتت فحلت فقط في إنسان واحد ولكنها اليوم تحل في أكثر من واحد ، فهؤلاء الناس الذين حلت بهم الحياة الإلهية هم الآن جميعاً واحد ولكن مازال هناك المزيد فالروح القدس قد أتى و الرجال قد أحيطوا به و امتلأوا لدرجة التشبع و لكن هناك المزيد. أليس ممكناً؟ هل يمكن أن يكون هناك المزيد؟

نعم!

لقد رفع الكان رغيف الخبز أمام الرب. لقد أتى عيد الحصاد بل أكثر من ذلك فإن مجيئاً قد تحقق لم يكن مجيئاً عادياً فقد كان المجيء الأكثر قوة في تاريخ الخليقة.

أن الغرض السماوي لوجود هذا الكون بدأ أخيراً. فقد ظهر تدبير الله الأعلى و أصبحت رؤيته ممكنة أخيراً علي الأرض ، تري ما هو ؟

في ذلك اليوم في مدينة أورشليم لمس ملكوت السموات أخيراً الأرض. واتسعت المملكة يا له من حدث مؤثر ، لقد تغيرت مملكة الله لتصبح هجومية فقد أخذت أرضاً جديدة اغتصبت أرضاً من العدو لصالح جنود ملكوت السموات. وهكذا تأسس ملكوت السموات على ذلك الكوكب ربما لتظهر كبداية صغيرة و لكن قدر لها أن تكبر.

تري ما الذي حدث ما هو أكثر الأحداث تأثيراً في تاريخ الإنسانية إنها بذرة تصبح رغيف خبز ، لقد ولدت الكنيسة.